Received : 22 / 4 / 2026 Accepted: 11 / 5 / 2026 Published : 9 / 7 / 2026

البنية الإنجازية والحجاج التداولي في الخطاب الشعري عند الشريف الرضي
دراسة تداولية في قصيدة (يا ظبية البان)

أحمد هادي شمام

Drahmedhadi1975@yahoo.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة البنية الإنجازية والحجاج التداولي في الخطاب الشعري عند الشريف الرضي، متخذا من قصيدة (يا ظبية البان) أنموذجًا تطبيقيًا، وذلك في ضوء المقاربة التداولية – البلاغية الحديثة. وينطلق البحث من إشكالية مفادها: كيف تتداخل الأفعال الكلامية مع البنى البلاغية في الخطاب الشعري لتؤدي وظائف حجاجية تتجاوز حدود الإخبار والتعبير الجمالي؟

واعتمد البحث المنهج التداولي، مستندًا إلى نظرية الأفعال الكلامية عند جون سيرل، مع الإفادة من مفاهيم البلاغة العربية ولا سيما مبدأ مقتضى الحال من أجل الكشف عن طبيعة الفعل الإنجازي في النص الشعري. وقد قسمت الدراسة إلى محورين رئيسين: تناول الأول البنية الإنجازية للأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في القصيدة استنادًا إلى التقسيم الخماسي لسيرل، في جُعِل المحور الثاني لدراسة الحجاج التداولي وآلياته، مثل الشكوى، والتذكير والمفارقة العاطفية واستدعاء الذاكرة الثقافية، بوصفها وسائل إقناعية تؤدي أثرًا تداوليًا في المتلقي.

وتوصل البحث إلى أن الخطاب الشعري عند الشريف الرضي لا يقتصر على التعبير الوجداني، بل يقوم على بناء حجاجي تداولي معقد تتكامل فيه الصورة البلاغية مع الفعل الكلامي، بما يجعل القصيدة حدثًا تواصليا وإنجازيا بامتياز. وتؤكد الدراسة أن البلاغة العربية تمثل أساسا مهما لفهم الأبعاد التداولية للشعر، وأن مقاربة النص الشعري من هذا المنظور تسهم في توسيع آفاق التحليل اللغوي والأدبي المعاصر.

الكلمات المفتاحية : التداولية، الأفعال الكلامية، الحجاج التداولي، الشريف الرضي، يا ظبية البان

The Performance Structure and Pragmatic Argumentation in Poetic Discourse of Al-Sharif Al-Radi: A Pragmatic Study of the Poem (Ya Zabyat Al-Ban)

Ahmed Hadi Shammam

Department of Arabic Language, College of Education, Al-Mustansiriya University

Abstract

This study aims to investigate the illocutionary structure and pragmatic argumentation in the poetic discourse of Al-Sharif Al-Radhi, taking the poem "Ya Zabyata Al-Ban" as an analytical model, within a pragmatic-rhetorical framework. The research addresses the central question of how speech acts interact with rhetorical structures in poetic discourse to perform argumentative functions that go beyond mere. description and aesthetic expression.

The study adopts a pragmatic approach based primarily on John Searle's Speech Act Theory, while drawing on concepts from classical Arabic rhetoric-epecially the principle of contextual appropriateness (muqtada al-hal)- to elucidate the illocutionary force of poetic utterances. The analysis is organized into two main sections: the first examines direct and indirect speech acts in the poem according to Searle's fivefold classification, while the second explores pragmatic argumentation

 DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

mechanisms, such as complaint, remembrance, emotional paradox, and cultural memory, as persuasive strategies aimed at influencing the addressee

The study concludes that Al-Sharif Al-Radhi's poetic discourse is not limited to emotional expression, but rather constitutes a complex pragmatic-argumentative structure in which rhetorical imagery functions as an illocutionary and persuasive device. The findings highlight the significance of Arabic rhetoric as a foundational framework for pragmatic analysis and demonstrate that applying pragmatic perspectives to classical poetry offers deeper insights into its communicative and argumentative dimensions

Keywords: Pragmatics, Speech Acts, Pragmatic Argumentation, Al-Sharif Al-Radhi, Ya Zabyata Al-Ban

التمهيد: الإطار النظري والمنهجي:

شهد الدرس اللساني المعاصر تحوّلا جذريًا في مقاربته للغة، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على البنية الصورية للجمل أو دلالاتها المعجمية، بل انتقل إلى دراسة اللغة بوصفها فعلاً تواصليًا يتحقق داخل سياقات استعمالية محددة، وفي هذا الإطار برزت التداولية (Pragmatics)بوصفها أحد أهم الحقول اللسانية التي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، من حيث علاقتها بالمتكلم والمخاطب والمقام والنية الإنجازية الكامنة وراء القول.

ولا شك أن هذا التحول النظري قد فتح آفاقًا جديدة لتحليل الخطاب الأدبي، وبخاصة الخطاب الشعري، الذي ظلّ زمنًا طويلًا حبيس المقاربات البلاغية والأسلوبية التقليدية حيث كانت القصيدة تُقرأ غالبًا باعتبارها بناء لغويًا مغلقًا، يركّز على الصورة والوزن والإيقاع والدلالة المجازية، دون الالتفات الكافي إلى بعدها التداولي بوصفها خطابًا موجَّهًا يؤدي أفعالاً ويُنجز مقاصد.

ومن هنا تبرز إشكالية أساسية تتمثل في مدى مشروعية تطبيق التداولية، ولا سيما نظرية الأفعال الكلامية، على الشعر، وهو خطاب يُفترض فيه أن يكون جماليًا وتعبيريًا أكثر من كونه وظيفيًا أو نفعيًا. غير أن هذا الافتراض سرعان ما يتهاوى إذا ما أُعيد النظر في طبيعة القول الشعري ذاته، إذ إن القصيدة، مهما بلغت درجة تجريدها أو غنائيتها، تظل قولًا صادرًا عن ذات متكلمة، وموجّهًا إلى مخاطب مفترض، ومحكومًا بسياق مقامي وثقافي وتاريخي معيّن.

وقد أسهمت التداولية الحديثة في إعادة الاعتبار إلى هذا البعد الخطابي للشعر، حين أكدت أن الفعل الكلامي لا يشترط أن يكون أمرًا أو وعدا صريحا حتى يُعدّ فعلًا إنجازيًا، بل إن الجملة الخبرية، أو الصورة البلاغية، أو حتى الاستعارة، يمكن أن تؤدي أفعالًا كلامية غير مباشرة، متى ما ارتبطت بقصد تواصلي واضح وسياق تداولي محدّد. ومن ثمّ، فإن الخطاب الشعري لا يخرج عن كونه ممارسة إنجازية، وإن اتخذ أشكالًا أسلوبية خاصة.

وفي هذا السياق، تشكّل نظرية الأفعال الكلامية، كما بلورها جون لانغشو سيرل انطلاقا من أعمال جون أوستن، إطارا نظريا ملائمًا لتحليل الخطاب الشعري؛ إذ تقوم هذه النظرية على التمييز بين مستويات القول، وتحديدًا بين الفعل اللفظي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، مع التركيز على القوة الإنجازية (Illocutionary Force) التي يضمرها المتكلم في قوله. ويكتسب هذا التمييز أهمية خاصة في الشعر، حيث تنفصل الصيغة اللغوية في الغالب عن الوظيفة الإنجازية المباشرة، وتُسند الأفعال الكلامية إلى صور ومجازات وانزياحات أسلوبية.

ومن هنا تنبثق فكرة البنية الإنجازية بوصفها تنظيمًا داخليًا للأفعال الكلامية داخل النص، لا يقتصر على تتبّع الأفعال منفردة، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة كيفية تآزرها، وتوزّعها، وتفاعلها عبر الخطاب الشعري برمته. فالبنية الإنجازية في القصيدة لا تقوم على فعل واحد، بل على شبكة من الأفعال الكلامية المتداخلة، التي تتضافر لتشكل موقفًا تواصليًا متكاملًا، غالبا ما يكون ذا طبيعة وجدانية أو خطابية أو احتجاجية.

ويُعدّ الشعر الغزلي، بوجه خاص، ميدانًا خصبا لمثل هذا النوع من التحليل؛ إذ يقوم في جوهره على المخاطبة المباشرة، واستدعاء الآخر، والتعبير عن الانفعال، والشكوى، والرجاء، والعتاب، وهي كلها وظائف تداولية تتجسد في أفعال كلامية متعددة، يغلب عليها الطابع غير المباشر. ومن هنا جاء اختيار قصيدة (يا ظبية البان) للشريف الرضي أنموذجا تطبيقيًا لهذه الدراسة، لما تتسم به من كثافة خطابية، وتنوّع إنجازي، وغنى بلاغي يسمح بتقصّي البنية الإنجازية للأفعال الكلامية على نحو معمّق.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

ولا يقتصر اختيار الشريف الرضي على القيمة الجمالية لشعره فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى خصوصية خطابه الشعري، الذي يجمع بين صفاء اللغة، وعمق التجربة الوجدانية، وقوة المخاطبة المباشرة، مما يجعل قصائده قابلة للتحليل التداولي دون إخلال بطابعها الفني. فقصيدة (يا ظبية البان) لا تُعدّ مجرد نص غزلي وصفي، بل خطابًا متكاملًا تتورّع فيه الأفعال الكلامية بين الإخبار والتعبير والتوجيه واستحضار الالتزام، ضمن بنية إنجازية متكاملة.

وانطلاقًا من هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة قصيدة (يا ظبية البان) مقاربة تداولية–بلاغية، تنطلق من نظرية الأفعال الكلامية عند جون سيرل، وتعمل على الكشف عن البنية الإنجازية التي تحكم توزيع الأفعال الكلامية في النص، مع مراعاة خصوصية الخطاب الشعري وسماته الأسلوبية. كما تعتمد الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًا، يقوم على تتبّع الأفعال الكلامية داخل القصيدة، وتحليل قوتها الإنجازية في ضوء السياق والمقام، دون الفصل بين التداولية والبلاغة.

وبذلك، يطمح هذا البحث إلى الإسهام في توسيع أفق تحليل الشعر العربي القديم، وإبراز قابليته للمقاربة اللسانية الحديثة، مع الحفاظ على خصوصيته الجمالية، وإعادة قراءة الخطاب الشعري بوصفه فعلًا تواصليًا حيًّا، لا مجرد بنية لغوية جامدة.

1. التداولية وتحليل الخطاب الشعري : تعد التداولية (Pragmatics) من أبرز الاتجاهات اللسانية الحديثة التي ركزت على دراسة اللغة في سياق استعمالها، متجاوزة حدود التحليل الشكلي والبنيوي، نحو الكشف عن مقاصد المتكلم ووظائف الخطاب في المقام التواصلي. ويوضح مسعود صحرواي مفهوم التداولية بأنها "ليست علمًا لغويًا محضًا بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج مِن ثَمَّ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره" (صحراوي، 2005، صفحة 16)، وهذا يبرز مركزية السياق والمقام في إنتاج الدلالة.

ولا تقف التداولية عند حدود الجملة، بل تنفتح على الخطاب بوصفه وحدةً تواصلية كبرى، تتداخل فيها العناصر اللغوية وغير اللغوية، مما يجعلها أداةً فاعلة في تحليل النصوص الأدبية، ولا سيما الخطاب الشعري، فالشعر في ضوء التداولية لا يُنظر إليه على أنه بناء جمالي فحسب، بل بوصفه فعلًا تواصليا ينجز مقاصد متعددة تتجاوز المعنى الظاهر، وفي هذا السياق فالتداولية تُعنى بما يريد المتكلم قوله فعلًا، لا بما تقوله الألفاظ في حد ذاتها (عياشي، 2009، صفحة 27).

ويكتسب الخطاب الشعري أهمية خاصة في التحليل التداولي؛ لأنه خطاب يقوم على الإيحاء والانزياح وتعدد الدلالات، مما يجعل فهمه مرتهنا بالسياق والمقام، وقد أدرك البلاغيون العرب هذه الحقيقة مبكرًا حين ربطوا المعنى بمقتضى الحال، وعدّوا المقام عنصرًا حاسمًا في توجيه الدلالة. ويرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ الكلام إنما يحسن ويقع موقعه من النفس بحسب ما يكون عليه من موافقة الحال ومشاكلة المقام، فالكلام لا يؤدي غرضه إلا إذا تعلق بعضه ببعض وتضافرت دلالاته داخل السياق العام للمقام (الجرجاني، 1992، الصفحات 46–47)، وهو تصور ينسجم في جوهره مع المبادئ التداولية الحديثة.

وانطلاقًا من ذلك، يتيح التحليل التداولي للخطاب الشعري الكشف عن الأبعاد الوظيفية والتأثيرية للنص، وفهم كيفية توظيف الشاعر للأدوات اللغوية والبلاغية من أجل إنجاز أفعال كلامية تستهدف المخاطب.

2. نظرية الأفعال الكلامية والبنية الإنجازية: تعدّ نظرية الأفعال الكلامية من المرتكزات الأساسية في الدرس التداولي، وقد تبلورت ملامحها الأولى مع الفيلسوف الإنجليزي جون لانغشو أوستن، الذي رفض النظر إلى اللغة بوصفها أداةً لوصف الواقع فقط، مؤكدًا أنَّ القول ذاته يُعدّ فعلا. يقول أوستن: "إن قول شيء ما هو إنجاز فعل" (Austin, 1962, p. 12)، لا مجرد التلفظ بألفاظ ذات معنى، وعلى هذا الأساس ميز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية الفعل القولي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري.

ويُعد الفعل الإنجازي (Illocutionary Act) جوهر العملية الكلامية، لأنه يمثل القصد الإنجازي الذي يسعى المتكلم إلى تحقيقه من خلال القول، كالإخبار أو الطلب أو التوجيه أو الاستمالة. وقد طوّر جون سيرل هذا التصور، مؤكدًا أنَّ "الفعل الإنجازي هو الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي" (Searle, 1969, p. 16)، ومصنفا الأفعال الكلامية إلى أنماط كبرى على وفق وظائفها الإنجازية.

ومن هذا المنطلق يتبلور مفهوم البنية الإنجازية (Illocutionary Structure)، التي تُعنى بدراسة تنظيم الأفعال الكلامية داخل الخطاب، والعلاقات التي تربط بينها، وكيفية تضافرها لتحقيق المقصد التداولي العام للنص. ولا تقتصر هذه البنية على الأفعال المباشرة، بل تشمل الأفعال الكلامية غير المباشرة التي يُفهم معناها الحقيقي من خلال السياق والاستلزام الحواري.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

ويُعد الخطاب الشعري مجالًا خصبًا لتجلي البنية الإنجازية، نظرًا لاعتماده على الأساليب البلاغية التي تنتج أفعالًا كلامية غير مباشرة، وهذا ما يجعل دراسة البنية الإنجازية في قصيدة (يا ظبية البان) للشريف الرضي نافذةً كاشفةً عن آليات بناء المعنى والأثر التداولي في النص الشعري للشريف الرضي خاصةً، والنصوص الشعرية في الأدب العربي عامةً.

المطلب الأول: الخطاب الشعري للشريف الرضي في قصيدة يا ظبية البان

يحتل الشريف الرضي (359–406هـ) مكانة رفيعة في تاريخ الأدب العربي، بوصفه أحد أعلام الشعر العباسي المتأخر، وقد جمع في شعره بين جزالة اللفظ، وسمو المعنى، وعمق التجربة الوجدانية. وقد وصف الثعالبي شعره بأنه "العالي القدح الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها" (الثعالبي، 1983، صفحة 155/3).

وتُبرز هذه الشهادة مكانته الأدبية بوصفه شاعرًا واعيًا بأدوات اللغة، وقادرًا على توظيفها توظيفًا إنجازيًا يخدم المقاصد التعبيرية والتأثيرية. مبرزةً أثره المتفرد في المأثور العربي راسمةً أبعاد شخصيته الضليعة بفنون البلاغة وألوان الخطاب وأساليب البيان.

أما لغة الرضي الشعرية فتتسم بصفاء التركيب مع فخامة الأسلوب، وبالاقتصاد اللغوي المشحون بالدلالة، والشريف كانَ "معروفًا عند القدماء بصدق اللوعة والصبابة، وكانت أشعاره في الحب كؤوسًا يعاقرها المتيمون" (مبارك، 2012، صفحة 277).

ويرى شوقي ضيف أن شعر الشريف الرضي يتميز بلغة جزلة، متينة، ولكنها في الوقت نفسه مرنة قادرة على التعبير عن أدق الانفعالات النفسية (ضيف، 1995، صفحة 373/5).

وتعد هذه المرونة أحد الأسس التي تجعل شعره بيئةً خصبةً للتحليل التداولي، ولا سيما في مجال الأفعال الكلامية.

لا يقتصر شعر الشريف الرضي على البعد الجمالي، بل يتجاوز ذلك إلى بعد خطابي واضح، يقوم على توجيه المخاطب والتأثير فيه. فالشاعر لا يكتفي بوصف حاله، بل يسعى إلى إنجاز أفعال عبر القول كالإقناع والعتاب والاستعطاف، واللوم.

ويشير صلاح فضل إلى أن الخطاب الشعري، حين يبنى على الوعي بالمخاطب، يتحول إلى فعل لغوي يتجاوز حدود التعبير إلى التأثير والتوجيه (فضل، 1992، صفحة 97).

وهو ما ينطبق بوضوح على شعر الشريف الرضي، وخصوصًا في قصائده الغزلية ذات الطابع الحواري.

وتندرج قصيدة يا ظبية البان ضمن الغزل العاطفي الذي يعبّر فيه الشريف الرضي عن تجربة وجدانية قائمة على الشكوى والعتاب والحنين، ولم ترد للقصيدة مناسبة تاريخية محددة في المصادر غير أن سياقها اللغوي والدلالي يدل على مقام غزلي حواري، يقوم على مخاطبة محبوب متمنع.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من قصائد الشريف الرضي لا ترتبط بحدث خارجي محدد، بل تنبع من تجربة شعورية داخلية تتخذ من الخطاب وسيلة للتنفيس والتأثير.

والقصيدة تقوم على بناء فني متماسك، يعتمد وحدة الموضوع وهو الشكوى من الصدود، وتكرار الصيغ الخطابية (النداء، والاستفهام، والخبر)، وتنويع الأفعال الكلامية بين المباشر وغير المباشر.

ويلاحظ حضور النداء في مطلع القصيدة (الرضي، 1986، صفحة 207/2):

يا ظبية البان ترعى في خمائله

وهو نداء لا يؤدي وظيفة التعريف، بل ينجز فعلًا إنجازيًا يتمثل في استحضار المخاطب عاطفيًا داخل الخطاب.

ويقوم الخطاب في القصيدة على طرفين أساسيين:

1. الذات المتكلمة: الشاعر، بوصفه ذاتا عاشقة متألمة.
2. المخاطب: المحبوبة، بوصفها ذاتًا غائبة، لكن حاضرة لغويًا.

وتنشأ بين الطرفين علاقة خطابية غير متكافئة، يسودها الطلب والعتاب من جهة، والصمت والامتناع من جهة أخرى، وهو ما يفسر كثافة الأفعال التوجيهية والاستفهامية في النص.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

أما طبيعة المقام التداولي للقصيدة فيتحدد من خلال:

1. المقام العاطفي مقام شكوى وعتاب
2. العلاقة بين المتكلم والمخاطب.
3. الهدف الإنجازي.

ويؤكد تمام حسان أن المقام يعدّ عنصرًا حاسمًا في تحديد قيمة القول، فالفعل اللغوي يُفهم فهمًا صحيحًا عند ربطه بالمقام الذي قيل فيه (حسان، 1994، صفحة 252).

وبناءً على ذلك، فإن قصيدة يا ظبية البان تمثل مقامًا تداوليًا غنيًا يسمح بتعدد الأفعال الكلامية وتنوّع قواها الإنجازية.

المطلب الثاني: البنية الإنجازية للأفعال الكلامية في قصيدة (يا ظبية البان)

خصصنا هذا المطلب لتحليل قصيدة (يا ظبية البان) تحليلا تداوليًا، بالاستناد إلى نظرية الأفعال الكلامية كما صاغها جون سيرل، وذلك للكشف عن الوظائف الإنجازية التي ينهض بها الخطاب الغزلي وإبراز الكيفية التي يتحوّل فيها القول الشعري من مجرّد بنية لغوية إلى فعل تواصلي ذي قصد وتأثير.

وينطلق التحليل من مسلّمة تداولية مفادها أن الخطاب الشعري لا يُقاس بصدق القضايا التي يصرح بها، وإنما بمقاصده الإنجازية وآثاره الوجدانية.

ولا يقتصر تحليل الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري على مجرد تصنيفها أو إحصائها، بل يقتضي النظر في طريقة توزّعها داخل النص، والعلاقات التي تنشأ بينها، وأثر السياق البلاغي والمقامي في توجيه قوتها الإنجازية. ومن هنا، فإن قصيدة (يا ظبية البان) لا تقدّم أفعالًا كلامية معزولة، بل تُنشئ نسقًا إنجازيًا متدرّجًا، تتداخل فيه الوظائف الإخبارية والتعبيرية والتوجيهية والحجاجية.

ويؤكد هذا المنحى ما ذهب إليه جون سيرل حين عدّ الفعل الإنجازي الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي، لا الجملة المفردة ولا البنية النحوية المجردة (Searle, 1969, pp. 16–24).

أولًا: الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في القصيدة:

تُعدّ التفرقة بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة من المرتكزات الأساسية في نظرية الأفعال الكلامية عند جون سيرل، لما لها من أثر حاسم في فهم المقاصد التداولية للخطاب الأدبي، ولا سيما الخطاب الشعري.

فالفعل الكلامي المباشر هو الذي تتطابق فيه الصيغة اللغوية مع القوة الإنجازية؛ كأن تأتي الجملة الخبرية للإخبار، أو الأمر للطلب الفوري. أما الفعل الكلامي غير المباشر، فهو الذي تنفصل فيه البنية النحوية عن المقصد الإنجازي، بحيث يُؤدّى فعل كلامي من خلال فعل آخر.

وقد صاغ سيرل هذا المبدأ بقوله: "في الأفعال الكلامية غير المباشرة، يبلغ المتكلم السامع معنى يتجاوز ما يُصرح به لفظًا" (Searle, 1969, p. 30).

وانطلاقا من هذا التصور، يمكن القول إن قصيدة (يا ظبية البان) تقوم في بنيتها التداولية على هيمنة الأفعال الكلامية غير المباشرة، إذ نادرًا ما تتطابق الصيغة اللغوية مع المقصد الحقيقي للمتكلم. فالشاعر لا يُخبر ليُعلم، ولا يُنادي ليأمر، ولا يصف ليُقرر حقيقة، وإنما يتوسل بهذه الصيغ لإنجاز أفعال وجدانية أعمق، وقد تكون بعيدة عمّا صرّح به، واستعملَ لفظه؛ ليفتح الفضاء أمام التواصل الروحي مع المعشوق في الوقت الذي حُرِم فيه من التواصل المادي.

فالأفعال المباشرة في القصيدة تقتصر غالبًا على: النداء الصريح (مثل: يا ظبية البان)، أو الدعاء (مثل: سقى منى وليالي الخيف..)

أما بقية الأبيات، وعلى كثرتها، فتندرج ضمن الأفعال غير المباشرة، حيث:

أ. تؤدي الجمل الخبرية وظيفة التعبير عن الشوق أو الشكوى أو اللوم،

ب. وتتحوّل صيغ التمني والترجي إلى أفعال توجيهية غير مباشرة

ت. ويغدو الوصف وسيلة لإنجاز فعل وجداني تحتدم لظاه في نفس الشاعر، لا تقرير واقع خارجي.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

ويفسر هذا الانزياح التداولي ما أكده سيرل من عدم التطابق بين البنية والفعل.

وبناءً على ذلك، فإن تحليل القصيدة لا يمكن أن يكتفي بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس صيغها النحوية، بل يقتضي النظر في سياق الخطاب، والعلاقة بين المتكلم والمخاطب، والمقام العاطفي الذي يوجه القول.

ومن هنا، يغدو الخطاب الغزلي في (يا ظبية البان) شبكة من الأفعال الكلامية غير المباشرة، تُسخّر فيها المباشرة بوصفها غطاءً لغويًا لإنجاز مقاصد وجدانية تتجلى بوضوح في الأفعال الإخبارية والتوجيهية والتعبيرية.

ثانياً: تقسيم سيرل الخماسي:

يقسم سيرل الأفعال الكلامية الإنجازية إلى خمسة أصناف رئيسة، هي:

(الإخباريات، التوجيهيات، التعبيريات، التعهديات، الإعلانيات).

وقد أكد أن العلاقة بين الصيغة النحوية والفعل الكلامي ليست علاقة تطابق، إذ يقول: "لا توجد علاقة تطابق واحد لواحد بين أنماط الجمل والقوى الإنجازية للأفعال الكلامية" (Searle, 1979, p. 36).

وتعد هذه القاعدة أساسًا لفهم الخطاب الشعري؛ لأن الجملة الخبرية فيه قد تؤدي وظيفة تعبيرية، والنداء قد ينهض بوظيفة توجيهية غير مباشرة.

1. الأفعال الإخبارية: يعرف سيرل الإخباريات بقوله: "تتمثل الغاية الإنجازية للأفعال الإخبارية في إلزام المتكلم بصدق القضية التي يعبر عنها" (Searle, 1969, p. 65).

يرد الفعل الإخباري في القصيدة بصيغته الظاهرية الخبرية، غير أنه نادرًا ما يؤدي وظيفة الإخبار المحايد إذ غالبًا ما يُحمّل بدلالة وجدانية أو تقييمية. من ذلك قول الشاعر (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

الماء عندكِ مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي

يبدو هذا التركيب إخباريًا في بنيته، غير أن القوة الإنجازية الفعلية تتمثل في إظهار العجز والانكسار العاطفي، فالإخبار هنا وسيلة لإنجاز فعل تعبيري غير مباشر. ومفاده: لا يروي المخاطب الماء بل مدمعي.

وكذلك قوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها بريّاك

فالإخبار عن الرائحة لا يُقصد به نقل واقعة حسية، بل إنجاز فعل استدعاء وجداني للمحبوبة الغائبة.

تمثل بتلقفه رائحة المحبوبة على بعد المسافة عنه، داعيًا إياها بأسلوبٍ غير مباشر لمبادلة مشاعر الحب والمودة معه.

وهذه الأخبار كما نرى لا تهدف إلى نقل وقائع، بل إلى استحضار المحبوبة وإلغاء المسافة بينها وبين المتكلم، وعليه فإن الإخبار هنا وسيلة إنجازية لخدمة الفعل التعبيري، لا غاية مستقلة بذاتها.

2. الأفعال التوجيهية : يعرف سيرل هذا الصنف بقوله: "الأفعال التوجيهية هي محاولات يقوم بها المتكلم لحمل المخاطب على إنجاز فعل ما" (Searle, 1969, p. 66).

لا تأتي الأفعال التوجيهية في القصيدة بصيغة الأمر الصريح، وإنما في صيغة الدعاء أو التمني، وهو ما يجعلها أفعالاً توجيهية غير مباشرة، نحو قوله (الرضي، 1986، صفحة 108/2):

سقى منى ولياليَ الخيف ما شربت من الغمام وحيّاها وحيّاك

فالدعاء موجه ظاهريًا إلى قوى عليا، غير أنه تداوليًا ينجز تمني الخير للمحبوبة واستدامة الذكرى.

كما يظهر التوجيه الضمني في صيغ التمني (الرضي، 1986، صفحة 108/2):

يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا ونطفة غمست فيها ثناياك

وحبذا وقفة والركب مغتفل على ثرى وخدت فيه مطاياك

حيث لا يُطلب الفعل من المخاطبة صراحة، بل يستحضر بوصفه رغبة غير قابلة للتحقق.

3. الأفعال التعبيرية: يقول سيرل: "تتضمن فئة الأفعال التعبيرية الأفعال التي يعبر فيها المتكلم عن موقف نفسي أو وجداني إزاء حالة من الحالات" (Searle, 1969, p. 66).

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

تعد الأفعال التعبيرية العمود الفقري للقصيدة، إذ ينهض الخطاب كله على الإفصاح عن الحالات النفسية للمتكلم من حب، ولوعة، وشوق، ودهشة، ومرارة، وحسرة، ويأس، وتمثل الركيزة التداولية الكبرى في القصيدة، ويتجلى في أبيات، نحو قولهِ (الرضي، 1986، صفحة 207/2):

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أنّ القلب مرعاك

فالنداء هنا لا يؤدي وظيفة طلبية، بل ينجز فعل تعظيم وتعلق عاطفي طال أثره البالغ فيه من طرف واحد.

وقوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

أنت النعيم لقلبي والعذاب له فما أمرّك في قلبي وأحلاك

فالجملة الخبرية تنجز فعلا تعبيريا مباشرًا قائمًا على المفارقة الوجدانية بأن تتلطف المحبوبة بقلبه سواء أكانت في حال الصدود أم القبول، وأن تتحلى بأخلاق الفرسان؛ وقد استولت على قلبه وتحكمت بأحواله على اختلافها.

وقوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق، لقد أبعدت مرماك

وقوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

حتّى دنا السّرب ما أحييت من كمد قتلى هواك ولا فاديت أسراك

فهذه الأبيات لا تُنشئ التزامًا معرفيًا، وإنما تكشف عن الحالة النفسية للعاشق، وتحوّل القول الشعري إلى فعل تنفيسي وجداني تفاعلي مشترك، فالجملة الخبرية تنجز فعلا تعبيريا مباشرًا قائمًا على المفارقة الوجدانية.

وتدخل في هذا السياق الأبيات التي تعبر عن الشوق المكبوت، وذلك في قوله (الرضي، 1986، صفحة 108/2):

عندي رسائل شوق لست أذكرها لولا الرّقيب لقد بلّغتها فاك

حيث يُنجز الاعتراف العاطفي بأسلوب غير مباشر، معبرًا بالنسيانِ عن التذكر.

4. الأفعال التعهدية: يُعرف سيرل الأفعال التعهدية بأنها: "أفعال يلزم المتكلم نفسه من خلالها بسلوك مستقبلي" (Searle, 1969, p. 67)، غير أن القصيدة لا تتضمن أفعالاً تعهدية منجزة فعليًا، بل تستحضرها بوصفها مخيبة، كما في قوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

وعد لعينيك عندي ما وفيت به يا قُرب ما كذبت عيني عيناك

فالجملة خبرية، لكنها تُنجز فعل عتاب، حيث يسند الإخلال بالوعد إلى المخاطبة، لا المتكلم، مما يدل على اختلال العلاقة الإنجازية بين الطرفين، ويحوّل التعهد من فعل منجز إلى موضوع شكوى. وقد يلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب كثيرًا في قصيدتهِ متحاشيًا الأثقال على كاهل محبوبته، ومتلمسًا أسلوبًا غير مباشر للتعبير عن المشاعر المحتدمة في نفسه تجاهها.

5. الأفعال الإعلانية : يقول سيرل : "تحدث الأفعال الإعلانية تغييرا في الوضع أو الحالة بمجرد التلفظ بها" (Searle, 1969, p. 69)، وتغيب هذه الأفعال عن القصيدة؛ لأن الخطاب الغزلي لا ينهض على سلطة مؤسسية قادرة على إحداث تغيير واقعي مباشر.

يتبين من خلال هذا التحليل أن قصيدة (يا ظبية البان) تنهض أساسًا على الأفعال التعبيرية غير المباشرة، تتخلّلها أفعال إخبارية متخمة بالوجدانية، وتوجيهية بصيغ الدعاء والتمني، في حين تغيب الأفعال الإعلانية بالمعنى التداولي الصارم، وتتحوّل الأفعال التعهدية إلى مجال للخيبة والعتاب.

ثالثاً: التداخل البلاغي– الإنجازي في القصيدة:

لا تقتصر البنية الإنجازية للأفعال الكلامية في قصيدة (يا ظبية البان) على الصيغ اللغوية الظاهرة، بل تتشكّل عبر وسائط بلاغية تؤدي دورًا حاسمًا في توجيه القوة الإنجازية للقول، ودراسة التداخل بين البلاغة والإنجاز تُعدّ امتدادًا طبيعيًا لتحليل الأفعال الكلامية، لا خروجًا عنه، إذ تكشف عن الكيفية التي تتحوّل بها الصورة البلاغية إلى أداة لإنجاز الفعل الكلامي داخل المقام الشعري.

يقوم الخطاب الشعري، في ضوء المقاربة التداولية–البلاغية، على تفاعل مركب بين البنية البلاغية من جهة، والبنية الإنجازية للأفعال الكلامية من جهة أخرى. فالبلاغة لا تؤدي وظيفة جمالية محضة، بل تعمل بوصفها آلية وظيفية تسهم في إنجاز المقاصد

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

التداولية، وتوجيه أثر الخطاب في المتلقي داخل مقام معيّن. وقد أكدت الدراسات التي تناولت العلاقة بين البلاغة والتداولية أن البلاغة العربية، في جوهرها، ممارسة تواصلية تستهدف التأثير في المخاطب، لا مجرد زخرفة أسلوبية.

وتتجلى هذه العلاقة بوضوح في قصيدة (يا ظبية البان) للشريف الرضي، حيث تتداخل الصورة البلاغية مع الفعل الكلامي، لتنتج خطابا غزليًا يقوم على الشكوى والاستمالة والعتاب، وهي وظائف إنجازية ذات طابع تداولي واضح.

ستناول في البدء مبدأ **مقتضى الحال** وتوجيه الفعل الكلامي في القصيدة، ويعدّ هذا المبدأ من الركائز الأساسية التي يقوم عليها التداخل البلاغي–الإنجازي، إذ يُكيّف المتكلم خطابه بما يناسب المقام وحالة المخاطب. وقد عرّفه السكاكي بأنه "الكلام الكلي المكيّف بكيفية مخصوصة" (السكاكي، 1973، صفحة 80).

ويظهر هذا التكييف بوضوح في افتتاح القصيدة بنداء تشبيهي، يقول فيه الشريف الرضي (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أنّ القلب مرعاك

فالنداء هنا لا يؤدي وظيفة استدعائية حقيقية، بل يُنجز فعلًا تعبيريًا يقوم على إظهار التعلّق والخضوع العاطفي. وقد جاءت الصيغة البلاغية (التشبيه بظبية البان) منسجمة مع مقام الغزل، فحملت القول من مجرد وصف جمالي إلى فعل كلامي إنجازي يرسّخ علاقة وجدانية غير متكافئة بين المتكلم والمخاطبة.

وأما فيما يخص نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني الذي رأى أنَّ البلاغة لا تتحقق في المفردات بل في طريقة انتظامها داخل السياق. يقول: "ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" (الجرجاني، 1992، صفحة 15)، ويتجلى هذا التصور في قول الشاعر (الرضي، 1986، صفحة 07/2):

الماء عندكِ مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي

فالخبر هنا لا يُراد به الإخبار عن واقع مادي، بل يُنجز فعلًا كلاميًا تعبيريًا وحجاجيًا في آن واحد: إذ تتحول الاستعارة إلى وسيلة ضغط وجداني، يُحمّل بها الشاعر المخاطبة مسؤولية العطش العاطفي، وهو ما يجعل الصورة البلاغية أداة إنجاز وتأثير.

تؤكد الدراسات أن الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية لا تُفهم إلا في ضوء المقام، لأنها تُستعمل لغرض التأثير، ويتجلّى هذا البعد في قول الشريف الرضي (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا ونطفة غمست فيها ثناياك

وحبذا وقفة والركب مغتفل على ثرى وخدت فيه مطاياك

فالتمني هنا لا يُقصد به طلب قابل للتحقق، بل يُنجز فعلًا كلاميًا توجيهيًا غير مباشر، غايته استمالة المخاطبة وإشراك المتلقي وجدانيًا في الإحساس بالفقد والاستحالة، إذ يتحول التمني إلى أداة إنجازية ذات طابع تأثيري، تُعبّر عن رغبة يعلم الشاعر مسبقًا تعذّر تحققها، لكنها تُستثمر لإحداث أثر عاطفي في المخاطب.

المطلب الثالث: آليات الحجاج التداولي في القصيدة

شغلت التداولية مساحة واسعة من الدراسات النقدية المعاصرة؛ لأنها إحدى وسائل الكشف عن العلاقة بين اللغة ومستعمليها، فهي تنظر إلى اللغة على أنها خطاب تواصلي وظيفي، ذات قوة إنجازية مع المتلقي، أي أن النص بوصفه خطابًا ليس هدفه المتعة وتقديم المعلومات للمتلقي فقط، ولكن يسعى إلى أن يتواصل معه ضمن سياق المقام ومن هنا فإن الحجاج التداولي في الخطاب يندرج تحت التداولية "لخضوع الخطاب الحجاجي في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقي، وتبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية ومنه قيمة أفعال الذوات المتخاطبة ومكانتها" (أعراب، 2010، صفحة 101).

أما الحجاج فيُعد من الظواهر اللغوية المركزية التي ارتبطت بوظيفة اللغة في بعدها التداولي، إذ لا تُستعمل اللغة في التواصل الإنساني لمجرد نقل المعاني أو الإخبار عن الوقائع، بل تُوظَّف أساسًا للتأثير في المخاطب، وتوجيه موقفه، واستمالته نحو تبني رؤية أو موقف بعينه. ومن هذا المنطلق، لا يمكن فصل الحجاج عن اللغة، لأن القول اللغوي في جوهره فعل تواصلي يضمر قصدًا إقناعيًا، سواء أكان هذا القصد صريحًا أم مضمرًا (العزاوي، 2006، الصفحات 14–15).

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

وقد بيّن التصور التداولي أن الحِجاج ليس نشاطًا منطقيًا مجردًا، ولا عملية استدلالية خالصة، بل هو ممارسة لغوية مرتبطة بالسياق، وبالعلاقة بين المتكلم والمخاطَب، وبالظروف المقامية التي يُنتج فيها الخطاب. فكل قول موجّه إلى مخاطب قابل للتأثر أو التفاعل ينطوي، بدرجات متفاوتة، على بعد حجاجي يسعى إلى الإقناع أو التوجيه (المبخوت، –، صفحة 351).

ويؤكد هذا المنظور أن الحجاج التداولي لا يقتصر على الخطابات الفلسفية أو السياسية، بل يشمل مختلف أنماط الخطاب، ومنها الخطاب الأدبي، الذي ظلّ زمنًا طويلًا يُدرس في إطار جمالي صرف. غير أن إعادة النظر في طبيعة النص الأدبي، من زاوية تداولية، تكشف أن الأدب – وبخاصة الشعر– يمارس أفعالا حجاجية، ولكن عبر وسائل غير مباشرة، تعتمد على الإيحاء والانزياح والصورة البلاغية، لا على البرهنة الصريحة، ويقوم الحجاج التداولي على عناصر متداخلة، في مقدّمتها: القصد الإقناعي للمتكلم، وبنية الخطاب، والسياق المقامي، فضلًا عن الوسائل اللغوية والبلاغية التي تُسهم في توجيه الدلالة وإنتاج الأثر، والحجاج لا يتحقق في مضمون القول وحده، بل في طريقة بنائه وتنظيمه، وفي العلاقات التي تنشأ بين مكوّناته داخل الخطاب (صادق، 2015، صفحة 20 و69).

وتكشف البلاغة العربية، من خلال مفاهيمها الأساسية، وعيًا مبكرًا بهذا البعد الحجاجي، حين ربطت القول بمقتضى الحال، وجعلت الغاية من الكلام إصابة المعنى في نفس المتلقي، وتحقيق الأثر، لا الاكتفاء بصحة اللفظ أو جمال الصياغة، وهو ما يجعل الحجاج التداولي امتدادًا مفهوميًا للبلاغة العربية، وإن اختلفت المصطلحات والإطارات النظرية.

وبناءً على ذلك، تتيح دراسة الحجاج التداولي في الخطاب الشعري الكشف عن الوظائف التأثيرية للنص، وإبراز الكيفية التي يتحول بها القول الشعري من تعبير ذاتي إلى فعل تواصلي موجّه، يسعى إلى الإقناع والاستمالة، ويُنجز أثره داخل سياق ثقافي وتداولي محدّد.

يتميز الخطاب الشعري بكونه خطابًا إيحائيًا، يعتمد على الانزياح والتكثيف، مما يجعل الحجاج فيه غير مباشر في الغالب، فالشاعر لا يصرّح بحجّته، بل يبنيها عبر الشكوى، والتمني، والمفارقة، واستدعاء الذاكرة، وهي آليات تتوسل التأثير الوجداني أكثر من الإقناع العقلي.

ويؤكد جون سيرل أن الأفعال الكلامية لا تُفهم بمعزل عن القصد الذي يحمله المتكلم، ولا عن الأثر الذي يسعى إلى تحقيقه في المخاطب، إذ إن المتكلم يحاول من خلال القول إحداث تأثير معين في السامع (Searle, 1969, pp. 54–71).

وفي ضوء هذا التصور، يمكن القول إن الخطاب الشعري عند الشريف الرضي ينهض على قصد تأثيري واضح، يتمثل في: الاستعطاف، وتبرير المعاناة العاطفية، وتحميل المخاطبة مسؤولية الألم، وإشراك المتلقي في التجربة الوجدانية.

وهذه المقاصد لا تتحقق عبر الأمر أو الطلب المباشر، بل عبر بناء حجاج تداولي قائم على العاطفة والذاكرة والمقام.

يفتتح الشريف الرضي قصيدته بنداء تشبيهي يحمل في طياته وظيفة حجاجية واضحة، إذ يقول (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أنّ القلب مرعاك

فالنداء هنا لا يُقصد به الاستدعاء الحقيقي، بل يُؤدّي فعلًا حجاجيًا يتمثل في تأسيس علاقة غير متكافئة بين المتكلم والمخاطبة؛ إذ يضع الشاعر نفسه في موضع التابع العاطفي، ويجعل من قلبه (مرعى) للمخاطبة. وبهذا يتحول التشبيه والنداء إلى وسيلة حجاجية تهدف إلى استدرار التعاطف وتليين موقف المخاطبة منذ مطلع الخطاب.

تُعد الشكوى من أبرز آليات الحجاج التداولي في القصيدة، حيث يسعى الشاعر من خلالها إلى تبرير ألمه، وتحميل المخاطبة مسؤولية هذا الألم، دون توجيه اتهام مباشر. ويتجلى ذلك في قوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

الماء عندكِ مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي

فالخبر هنا لا يؤدي وظيفة إخبارية خالصة، بل يُستثمر حجاجيًا لإقناع المخاطبة والمتلقي بصدق المعاناة، إذ يقيم الشاعر مقابلة بين فيض العطاء المادي وحرمانه الوجداني. وهكذا تتحول الصورة البلاغية إلى حُجة عاطفية تُعيد توجيه إدراك المخاطب نحو مأساة المتكلم.

ويتعزز هذا البعد في قوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

سهم أصاب ورامیه بذي سلم من بالعراق، لقد أبعدت مرماك

إذ يوظّف الشاعر صورة الإصابة عن بُعد ليُبرهن حجاجيًا على شدة الأثر النفسي، رغم البعد المكاني، فيتحول التشبيه إلى دليل تداولي على عمق الجرح العاطفي.

يُعدّ التمني من أكثر الأساليب قدرة على إنتاج أثر حجاجي تداولي، لأنه يُعبّر عن رغبة يعلم المتكلم مسبقًا عدم تحققها، لكنه يوظفها للضغط العاطفي والاستمالة. ويتجلى ذلك في قول الشاعر (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا ونطفة غمست فيها ثناياك

وحبذا وقفة والركب مغتفل على ثرى وخدت فيه مطاياك

ويحاجج الشاعر أيضًا بالتذكير وبناء الذاكرة المشتركة، حيث يعتمد الشاعر على استدعاء الذاكرة المشتركة بوصفها وسيلة حجاجية فعّالة، كما في قوله (الرضي، 1986، صفحة 107/2):

سقى منى ولیالي الخیف ما شربت من الغمام وحيّاها وحيّاك

فذكر الأمكنة ذات الحمولة الدينية والعاطفية لا يؤدي وظيفة وصفية فحسب، بل يُستثمر حجاجيًا لإلزام المخاطبة وجدانيا باستحضار تجربة مشتركة، بما يعزز أثر الخطاب ويُقوّي حجته.

الخاتمة

انتهت هذه الدراسة إلى أن مقاربة قصيدة (يا ظبية البان) للشريف الرضي من منظور تداولي – بلاغي تكشف عن أن الخطاب الشعري لا ينهض على البعد الجمالي وحده، بل يتأسس كذلك على بعد تواصلي وظيفي تُنتج فيه اللغة أفعالًا، وتُمارس أثرًا، وتُشيّد علاقةً خطابيةً بين ذاتٍ متكلّمة ومخاطَبٍ مفترض داخل سياق مقامي وثقافي معيّن.

وقد أتاح الجمع بين نظرية الأفعال الكلامية (كما طوّرها سيرل انطلاقًا من أوستن) وبين مفاهيم البلاغة العربية، ولا سيما مقتضى الحال والنظم، بناء قراءة أكثر شمولًا للنص، تُبرز آليات الإنجاز والتأثير والإقناع التي تتخفّى وراء البنى الأسلوبية والصور المجازية.

لقد بيّنت الدراسة أن الخطاب الغزلي في قصيدة الشريف الرضي ليس محض وصف للمحبوبة أو تعبير وجداني غير منضبط تواصليًا، بل هو خطاب موجَّه، تتوزع فيه القوى الإنجازية على نحو ينسجم مع المقام العاطفي القائم على الشكوى والحنين والعتاب واستدعاء الآخر.

إن البنية الإنجازية في القصيدة لا تقوم على فعل واحد أو نمط واحد من الأفعال الكلامية، بل تتشكل من شبكة متداخلة من الأفعال، تتساند وتتحاور وتتحول عبر السياق، بما يخلق ما يمكن تسميته (النسق الإنجازي المتدرّج) الذي ينتقل من الاستدعاء العاطفي إلى الشكوى، ومن التذكير إلى التمني، ومن العتاب إلى المفارقة الوجدانية.

ويمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة في ما يأتي:

1. **انفتاح القصيدة على التداولية بوصفها خطابًا موجّهًا:** إذ ثبت أن القصيدة في جوهرها ممارسة تواصلية تصدر عن ذات متكلمة وتقصد مخاطبًا ضمنيًا، وتُقرأ على وفق مقام يوجّه الدلالة ويضبط الفهم، وهو ما يجعل تطبيق التداولية على الشعر إجراءً مشروعًا إذا روعي فيه خصوصية الشعرية ومجالها الإيحائي.
2. **هيمنة الأفعال الكلامية غير المباشرة:** أظهرت الدراسة أن معظم أفعال القصيدة لا تتطابق فيها الصيغة النحوية مع القوة الإنجازية؛ فالخبر غالبًا لا يُقصد به الإخبار المحايد، بل يتحول إلى تعبير عن الألم أو الشوق أو اللوم، كما أن النداء والتمني أدوات توجيه واستمالة دون طلب مباشر. وهذا يفسّر طبيعة الشعر الغزلي الذي يجنح إلى الإيحاء عوضًا عن التصريح.

فاعلية التقسيم الخماسي لسيرل في تحليل الخطاب الشعري: أسهم تقسيم سيرل (الإخباريات، التوجيهيات، التعبيريات، التعهديات، الإعلانيات) في تنظيم تحليل القصيدة، إذ أظهر أن:

أ. الإخباريات: في القصيدة محمّلة بدلالة وجدانية وتقييمية.

ب. التوجيهيات: تتحقق غالبًا بصيغ الدعاء والتمني والترجي.

ت. التعبيريات: تمثل العمود الفقري للقصيدة لأنها تنقل حالات الشوق واللوعة والمفارقة.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

ث. التعهديات: تُستحضر غالبًا بوصفها مخيبة أو موضوعًا للعتاب لا التزامًا منجزًا.

ج. الإعلانيات: تغيب لغياب السلطة المؤسساتية التي تشترطها طبيعتها التداولية.

3. التداخل البلاغي–الإنجازي كونه أساسًا لإنتاج المعنى : خلصت الدراسة إلى أن البلاغة ليست مستوى تزيينيًا زائدًا على المعنى، بل هي وسيط إنجازي يُوجّه القوة الكلامية داخل الخطاب؛ فالتشبيه والاستعارة والتمني والنداء تعمل آلياتٍ لإنجاز وظائفَ تداولية (استمالة، أو تعظيم، أو عتاب، أو شكوى) على نحو ينسجم مع مبدأ مقتضى الحال، ومع تصور النظم القائم على تعاضد العلاقات في بنية الكلام.

5. الحجاج التداولي أفقًا وظيفي للخطاب الغزلي: بيّنت الدراسة أن القصيدة تتضمن بُعدًا حجاجيًا واضحًا يتجلى في الشكوى والتذكير والتمني والمفارقة، ويهدف إلى استجلاب التعاطف، وتبرير المعاناة، وإشراك المخاطَب والمتلقي في التجربة، فالخطاب الغزلي لا يكتفي بإظهار الألم، بل يحاول توجيه الموقف، وتحويل المعاناة إلى (حجة وجدانية) تُكسب الشاعر مشروعية الخطاب داخل النص.

6. إمكان الجمع بين البلاغة العربية والتداولية الحديثة دون تعارض: أثبتت الدراسة أن البلاغة العربية (من خلال ربطها الكلام بالمقام ومراعاتها لأحوال المخاطَبين) تتقاطع مع مبادئ التداولية في أساسها الوظيفي، وأن الاستفادة من مفاهيمها لا تُضعف المنهج اللساني الحديث، بل تمنحه امتدادًا تأصيليًا يزيد من قوة الدراسات الحديثة وملاءمتها للنص العربي التراثي.

وخلاصة القول: إن قصيدة (يا ظبية البان) تكشف، عبر هذا التحليل، عن شاعر واعٍ ببناء الخطاب وتوجيهه، يوظف البلاغة لا لغايات جمالية محضة، بل بكونها أداة إنجاز وتأثير وحجاج، ويجعل من القول الشعري فعلًا تواصليًا يطمح إلى إحداث استجابة وجدانية لدى المخاطَب، وإعادة تشكيل العلاقة معه ضمن مقام العشق والحنين والعتاب.

إن قراءة الشعر العربي في ضوء التداولية لا تُقصي البلاغة ولا تُلغي الشعرية، بل تمنحها أفقًا وظيفيًا جديدًا يربط الجمال بالفعل، واللغة بالأثر، والنص بسياقه ومقصديته.

المصادر

أبو بكر العزاوي. (2006). *اللغة والحجاج*. الدار البيضاء: العمدة في الطبع.

أبو منصور الثعالبي. (1983). *يتيمة الدهر*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشريف الرضي. (1986). *الديوان*. إيران: منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي.

تمام حسان. (1994). *اللغة العربية: معناها ومبناها*. القاهرة: عالم الكتب.

حبيب أعراب. (2010). *الحجاج والاستدلال الحجاجي*. إربد: عالم الكتب الحديثة.

زكي مبارك. (2012). *عبقرية الشريف الرضي*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

شكري المبخوت. (–). نظرية الحجاج في اللغة. تأليف فريق البحث في البلاغة والحجاج، *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

شوقي ضيف. (1995). *تاريخ الأدب العربي*. القاهرة: دار المعارف.

صلاح فضل. (1992). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد القاهر الجرجاني. (1992). *دلائل الإعجاز*. جدة: دار المدني.

مثنى كاظم صادق. (2015). *أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكية*. بغداد: دار ومكتبة عدنان.

مسعود صحراوي. (2005). *التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*. بيروت: دار الطليعة.

منذر عياشي. (2009). *اللسانيات والدلالة*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

يوسف بن أبي بكر السكاكي. (1973). *مفتاح العلوم*. مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46

References

Aarab, H. (2010). *Al-hijjaj wa-al-istidlal al-hijjaji* [Argumentation and argumentative reasoning]. Alam Al-Kutub al-Hadithah.

Al-Azzawi, A. B. (2006). *Al-lughah wa-al-hijjaj* [Language and argumentation]. Al-Umdah fi al-Tab'.

Al-Jurjani, A. Q. (1992). *Dala'il al-i'jaz* [Intimations of inimitability]. Dar Al-Madani.

Al-Mabkhout, S. (n.d.). *Nazariyyat al-hijjaj fi al-lughah* [The theory of argumentation in language]. In Research Team on Rhetoric and Argumentation, *The most important theories of argumentation in Western traditions from Aristotle to today*. Al-Matba'ah al-Rasmiyyah lil-Jumhuriyyah al-Tunisiyyah.

Al-Sakkaki, Y. B. A. B. (1973). *Miftah al-ulum* [The key to the sciences]. Matba'at Mustafa Al-Babi Al-Halabi wa-Awladuhu.

Al-Sharif al-Radi. (1986). *Al-Diwan* [The collected poems]. Manshurat Matba'at Wizarat al-Irshad al-Islami.

Al-Thaalibi, A. M. (1983). *Yatimat al-dahr* [The unique pearl of the age]. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford University Press.

Ayachi, M. (2009). *Al-lisaniyyat wa-al-dalalah* [Linguistics and semantics]. Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahid.

Dayf, S. (1995). *Tarikh al-adab al-Arabi* [History of Arabic literature]. Dar Al-Ma'arif.

Fadl, S. (1992). *Balaghat al-khitab wa-ilm al-nass* [The rhetoric of discourse and text linguistics]. Al-Hay'ah al-Misriyyah al-Ammah lil-Kitab.

Hassan, T. (1994). *Al-lughah al-Arabiyah: Ma'nahā wa-mabnahā* [The Arabic language: Its meaning and structure]. Alam Al-Kutub.

Mubarak, Z. (2012). *Abqariyyat al-Sharif al-Radi* [The genius of Al-Sharif al-Radi]. Hindawi Foundation.

Sadiq, M. K. (2015). *Uslubiyyat al-hijjaj al-tadawuli wa-al-balaghi: Tanzir wa-tatbiq ala al-suwar al-Makkiyyah* [The stylistics of pragmatic and rhetorical argumentation: Theory and application to Meccan Surahs]. Dar wa-Maktabat Adnan.

Sahrawi, M. (2005). *Al-tadawuliyyah inda al-ulama al-Arab: Dirasah tadawuliyyah li-zahirah al-af'al al-kalamiyyah fi al-turath al-lisani al-Arabi* [Pragmatics according to Arabic scholars: A pragmatic study of the speech acts phenomenon in the Arabic linguistic heritage]. Dar Al-Tali'ah.

Searle, J. R. (1969). *Speech acts: An essay in the philosophy of language*. Cambridge University Press.

Searle, J. R. (1979). *Expression and meaning: Studies in the theory of speech acts*. Cambridge University Press.

DOI: https://doi.org/10.47831/xb5mpx46